

## المواقف المبدئية للثورة الاسلامية خلال الـ ٣٩ من عمرها

بقلم: ميامن حميد

كانت انطلاقا الثورة الاسلامية في ايران في ستينات القرن الماضي ١٩٦٣ بالانتفاضة التي عرفت بـ «١٥ خرداد» اي الخامس من يونيو-حزيران، بعد خطاب ناري لمساحة الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) هاجم فيه نظام شاه بسبب اعطاء حق الحصانة القضائية للمستشارين الاميركان في ايران...

لذلك كانت الثورة منذ انطلاقتها على عداء مع المشروع الاميركي في الهيمنة على مقدرات الدول الاسلامية...

في ذلك الخطاب لم تكن فلسطين غائبة عن عقلية قائد الثورة و مفجرها فكاء جزء كبير من الهجوم يركز على العلاقات الائمة بين نظام الشاه و الكيان الغاصب لفلسطين...و على هذا كان الاجراء الاول الذي قامت به الثورة و في يوم انتصارها(١١ شباط/فبراير ١٩٧٩) هو تحويل سفارة العدو الصهيوني في قلب طهران الى سفارة لدولة فلسطين التي لم تكن قد اعلنها الراحل ياسر عرفات بعد!

❖ لاشرقية و لاغربية و استقلالية القرار السياسي:

لم يكن رفض سلطة الغرب و اميركا هو الموقف المبدئي الوحيد الذي اعلنته الثورة الاسلامية كشعار و منهج لها، بل رفض الهيمنة الشرقية(السوفيتية) ايضا على العالم الاسلامي و العالم بأسره، كقوة امبريالية تتقاسم العالم مع الامبريالية الرأسمالية.

و بسبب هذه المواقف الراضية للهيمنة نشاهد في العقد الاول للجمهورية الاسلامية توافق القوتين العالميتين في القضايا المصيرية ضد الثورة و لعل ابرزها كان في دعم القوى الموالية لهم داخل ايران و التجسس ضد الثورة و في دعم النظام الصدامي بحربه ضد ايران، فالغرب كان يدعم بالمعلومات الاستخبارية و توفير الدعم السياسي و المالي و الشرق يدعم بالسلاح و العتاد، فيما الجمهورية الاسلامية فرض عليها حصار اقتصادي و تسليحي خانق.

ان شعار الثورة في «لاشرقية و لاغربية» لم يأت من فراغ، بل على اساس ايديولوجي اسلامي يقوم على قاعدة نفي السبيل و عدم تمكين القوى السلطوية و الاستكبارية من المجتمع و الدولة الاسلامية.

## ❖ حزب المستضعفين في مقابل المستكبرين:

المبدأ الآخر الذي ألزمت الثورة نفسها به، هو أنها رفعت شعار ثورة المستضعفين في مواجهة المستكبرين... المستضعفين على اختلاف انتماءاتهم الدينية والعقيدية والفكرية والسياسية، وفي أي بقعة من العالم. صحيح أنها كانت ثورة إسلامية، وأن قادتها ينتمون مذهبياً إلى طائفة من المسلمين. لكن مبادئ الثورة و شعاراتها لم تكن طائفية أو قومية أو مناطقية بل لكل الإنسانية التي تريد الخلاص من نير الهيمنة الاستكبارية بشتى أشكالها.

و من هذا المنطلق دعت الثورة الإسلامية جميع حركات التحرر في العالم، في أميركا الجنوبية و في إيرلندا و في العالم الإسلامي بطبيعة الحال مع أولوية بعض القضايا ك فلسطين باعتبارها تشكل قلب الصراع من الاستكبار الذي وضع كل إمكانياته و قدراته في خدمة المحتلين الصهاينة.

إن نظرية حزب المستضعفين في مواجهة حزب المستكبرين هي نظرية مستمدة من التقسيم القرآني للجمع البشري و إلى التمايز بين قوى الخير التحررية و قوى الشر السلطوية و المتفرعة...

فكانت الثورة بهذا الشعار تمثل الامتداد الطبيعي لمسيرة بدأت بالانبياء و المصلحين و الثوار على مدى التاريخ الإنساني... و في هذا السياق لم تنظر الثورة إلى مصالحها الذاتية و الانهزامية التي تسيطر على كثير من الحركات السياسية تحت عناوين الواقعية السياسية، بل دفعت منذ اليوم الأول ثمن هذه المواجهة و هذا الدعم... فلا عجب أن تجد في طهران شوارع تحمل اسمي ثوار، مثل باتريس لولومبا و بوبي ساندز، إلى جانب أحمد قصير و خالد الإسلامبولي و محمد باقر الصدر و الحكيم.

## ❖ أسلمة المجتمع:

يحدد دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية الميزة الأساسية للثورة الإسلامية فيقول في المقدمة: « إن الميزة الأساس لهذه الثورة بالنسبة إلى سائر النهضات التي قامت في إيران خلال القرن الأخير، إنما هي عقائدية الثورة و إسلاميتها... و تضع المادة الثالثة من الدستور جملة من السبل التي يراها الدستور كفيلة بتحقيق أهداف الثورة في المجتمع، و في مقدمتها «الله خلق المناخ الملائم لتنمية مكارم الأخلاق على أساس الإيمان و التقوى و مكافحة كل مظاهر الفساد و الضياع..»

٦- تنظيم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية و الالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين و الحماية الكاملة لمستضعفين العالم..»

قد يتصور البعض ان الاسلامة لاتشكل تحدياً امام النظام، في حين انها بالعكس تشكل اليوم اكبر تحد في ظل أجواء العولمة و الامركة و الليبررة!! التي تستهدف جميع القيم الانسانية الاصيلة و تدعو الى المجون و الفسوق و التحلل من أجل اهدافها الرأسمالية أولاً و الاستعمارية ثانياً.

تصوروا لو أن الجمهورية الاسلامية تركت مهمة اسلمة المجتمع و في خطوة اولية رفعت قرار الالزام بالحجاب للنساء، كما هو الحال في جميع البلدان التي تدعي الاسلام و تتصور انها الوحيدة التي تطبقه!!

و لو أن الجمهورية الاسلامية-والعياذ بالله- اباحت محلات الخمر و النوادي الليلية، و ألغت شرطة الارشاد..كم من الضغوط الداخلية و الدولية سوف تنزاح عن صدرها، و كم توفر من الاموال التي تصرفها في هذا المجال...

الاكثر من ذلك ماذا سيكون وضع السياحة في البلاد...و كم ستدر سواحل بحر قزوين الجميلة على ايران من اموال السياح الاوروبيين و الخليجيين.. و كيف سيكون الوضع في جزيرة كيش او قشم و ...الخ.

ان العديد من الانظمة السياسية في العالم اليوم تستخدم «الحريات» الاجتماعية من اجل كسب مشروعية و مقبولة لانظمتها بين شعوبها، كما في الحالة السعودية مؤخراً في ظل الحكومة السلمانية التي انقلبت على جميع متبنياتها العقدية و الدينية بين ليلة و ضحاها لاسكات اصوات المواطنين السعوديين و الهائم عن باقي السياسات التي تقوم بها السلطة، من الحروب و التدخل في شؤون البلدان الاخرى، و الفساد المتشعري بين الطبقة الحاكمة..لكن مبدئية الجمهورية الاسلامية تحول دون استخدام هذه الوسائل الرخيصة، ففي الجمهورية الاسلامية لاوجود لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

#### ❖ القضية الفلسطينية:

و هكذا بالنسبة للتعامل مع أهم قضية يواجهها العالم الاسلامي، و التي سماها البعض زوراً بالقضية المركزية او القضية الاولى، دون ان يتقدموا خطوة في سبيل انقاذ الاقصى و دعم مقاومة الشعب الفلسطيني الرابط في مواجهة الاحتلال.

تصوروا لو أن حكومة الجمهورية الاسلامية تخلت عن دعم القضية الفلسطينية و دعمت مسيرة التسوية مع الكيان الصهيوني و تركت الفلسطينيين مشردين في شتات الارض...هل كانت اميركا و الكيان الصهيوني تعاديان النظام الاسلامي و تصرفان مئات الملايين من الدولارات من اجل محاصرته و التضيق عليه؟!!

هل كان المشروع النووي السلمي الايراني يحدث كل هذه الضجة في العالم ليهدد في كل صباح الرئيس الاميركي بالغائه؟ و اساساً هل كانت هناك حاجة لاربع سنوات من التفاوض مع السداسية الدولية؟!!

ابداً...كانوا تعاملوا معها على الاقل مثل ماتعاملوا مع المشروع النووي الباكستاني و مع المشروع النووي الهندي و المشاريع التي يمولونها بأنفسهم في باقي البلدان التابعة لهم...

لقد دفعت الجمهورية الاسلامية الايرانية ثمناً باهضاً جراء تبنيها لقضية فلسطين و الاقصى الشريف من منطلق ايمانها الاسلامي و ثوابتها المبدئية بضرورة تحرير الارض المحتلة و مواجهة المشروع الصهيوني الاميركي في المنطقة..ولو لا هذا الدعم و هذه المواقف المبدئية لضاع الجنوب اللبناني و ضاعت غزة كما ضاعت الضفة الغربية و اراضي الـ ٤٨ التي نسيها العرب و المسلمون..و لاستباح الصهاينة غزة المحاصرة منذ زمن بعيد...

لقد كان الشاه المقبور حليفاً للاميركان و الصهاينة فكانت ايران حينها الركيزة الاساسية للسياسة الاميركية في المنطقة، بل تم تسليم أمن منطقة الخليج الفارسي له بالكامل و اخضعت جميع محميات اميركا و الغرب في المنطقة اليه...يحجون اليه في كل يوم و ليلة لتقديم فروض الطاعة هؤلاء انفسهم الذي يصرحون في اليوم عشرات المرات بالعداء للجمهورية الاسلامية، التي اصبحت بمواجهتها لاميركا و الصهاينة، مجوسية و رافضية تتدخل في شؤونهم الداخلية.

الموقف الذي اتخذته الثورة من قضية فلسطين لم يكن لاهداف سياسية و مصالح استراتيجية تتعلق بايران بل هو موقف مبدئي دفعت له الثورة الكثير من اموال شعبها و دماء ابناءها و لامنة في ذلك على احد.. بل جعلت من فلسطين بوصلة للتعامل مع الانظمة و الدول و الكيانات السياسية.

#### ❖ الوحدة و التقريب بين المذاهب

مع ان الثورة الاسلامية في ايران و نظام الجمهورية الاسلامية يؤكد في المادة الثانية عشرة على ان «الدين الرسمي لايران هو الاسلام و المذهب الجعفري الاثنى عشري، و ان هذه المادة...غير قابلة للتغيير»..لكنه يصرح في المادة نفسها قائلاً: «واما المذاهب الاسلامية الاخرى و التي تضم المذهب الحنفي و الشافعي و المالكي و الحنبلي و الزيدي فانها تتمتع باحترام كامل، و اتباع هذه المذاهب احرار في أداء مراسهم المذهبية حسب فقههم...الى آخر المادة الدستورية.

لذلك انتشرت للمذاهب الاخرى في مناطق سيستان و بلوتشستان و شمال جرجان و خراسان و هرمزكان و كردستان، بتمويل من الدولة، بل من المرجعية الدينية الشيعية و أصبح لعلماء هذه المذاهب حضوة و مكانة مرموقة في الدولة و لدى السلطة.

عشران بل مئات المساجد و المصليات تنتشر في ايران لاتباع المذاهب الاخرى، و اساساً العقلية الايرانية غير مذهبية و لاتجد اي نوع من الاختلاف في التعامل بين اتباع المذاهب الاسلامية داخل ايران.

كما أن دور ابناء المذاهب الاخرى كان كبيراً كباقي ابناء الشعب- في الدفاع عن الثورة و قيمها و التحديات التي تواجهها.

هذا الاداء الوحدوي و التقريبي للجمهورية الاسلامية وقادة الثورة الاسلامية لم تقتصر في التعامل مع الداخل الايراني، بل شكل نموذجاً في التعامل مع المسلمين عامة في خارج ايران...ولولا الضغوط السياسية التي تفرضها الانظمة العميلة للمشروع الاميركي الصهيوني الذي يعتمد الفتنة الطائفية حيناً و القومية حيناً آخر؛ لظهرت نتائج هذه الوحدة و هذا التقريب ملياً على عالمنا الاسلامي و لتجنب ما دفعه و اهدره العالم الاسلامي من دماء و امكانيات للخلاص من الفتنة الطائفية التكفيرية (الوهابية) التي مولتها اذنان اميركا في المنطقة.

مع كل التضيق السياسي الذي واجهه دعاة التقريب للوحدة الا اننا نشاهد وعياً اسلامياً تقريبياً يحتاج العالم الاسلامي من شرقه الى غربه...وكله بفضل الخطاب الوحدوي للثورة الاسلامية و قيادتها. و لعل الخطوة التقريبية الالهة التي اتخذتها القيادة الاسلامية هي الافتاء بحرمة التراشق المذهبي بين المسلمين. و صرحت بشكل واضح ان مثل هذه الاعمال لاتصدر الا عن جهل و غباء او عمالة لمشروع الفتنة الصهيوني- الوهابية.

لم تكن خطوات التقريب مجرد شعارات، بل واقع على الارض، فالقدس صار لها يوم في آخر جمعة من شهر رمضان، و ما بين ١٢ الى ١٧ ربيع الاول(ذكرى لمولد النبي الشريف لدى السنة و الشيعة) اعلن عن اسبوع للوحدة و الحركات الاسلامية السنية في العالم مدعومة من الجمهورية الاسلامية مادامت مناهضة للمشروع الغربي و الصهيوني..و أمن البلدان الاسلامية(السنية) اولوية بالنسبة للسياسة الخارجية الايرانية...

و قد اخضعت الثورة الاسلامية مؤسسة كاملة مرتبطة بالقيادة تتولى شؤون التقريب بين المذاهب الاسلامية و تعمل على ترسيخ ثقافة و مفهوم الوحدة بين المسلمين من خلال تنقيح التراث و البحث عن المزيد من نقاط الالتقاء... هذه المؤسسة التي تتبعها جامعة المذاهب الاسلامية و التي يدرس فيها فقه المذاهب الاسلامية الخمسة اضافة الى الزيدية و الاباضية و الاسماعيلية.

## ❖ كلمة أخيرة:

هناك نهجان عامان في العالم الاسلامي، نهج طائفي ارتبط منذ العصور الاولى بالاستبداد السلطوي و السلطان الجائر، و اليوم هو الركيزة الاساسية للمشروع الصهيوني اميركي في المنطقة، معروفة شخوصه و رموزه و شعاراته و تربيته، كلف الامة الكثير من طاقتها و امكانياتها و دماء ابناؤها... هذه الطاقات و الامكانيات و الدماء التي لو كانت تسخر من اجل المجتمع الاسلامي و وفق مباني الاسلام المحمدي الاصيل، لتحررت جميع الارض الاسلامية من استعمار الشرق و الغرب و لاحتل العالم الاسلامي موقفاً متقدماً في ركب الحضارة الانسانية اليوم، لا أن تصبح أمة الاكثر جهلاً و تخلفاً و اقتتالاً بين الامم!

و النهج الاخر، هو نهج الوحدة و التقريب و البحث عن المشتركات مع الاخر، وفق منطق قرآني يقول«تعالوا الى كلمة سواء» و حديث نبوي «إنما المؤمنون إخوة» و حكمة علوية شهيرة اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق.. هذا النهج الاخير تعتبر الثورة الاسلامية و الجمهورية الاسلامية في ايران امتداده، و معها بالطبع كل دعاة الوحدة في البلدان الاخرى من علماء الازهر و الشام و الزيتونة و غيرها من حواضر الاسلام.

و ما أحب أن انوه عليه ان جميع مآلاته الثورة من تحديات و تهديدات بسبب مواقفها المبدئية، على الصعيدين الداخلي و الخارجي لم يزد لها الا ثباتاً في مواصلة هذه النهج المحمدي العلوي الاصيل.. النهج الذي اثمر في الداخل تطوراً نووياً و تقنياً و طبياً و اعماراً و تنمية و في الخارج اثبات حقانية مواقفها و صدق شعاراتها التي رفعتها حتى قبل انتصار ثورتها في ١١ فبراير/شباط ١٩٧٩ لانها باختصار ثورة قيم و مبادئ و عقيدة، و لم تكن مجرد تغيير سياسي لرأس و قمة هرم السلطة.. انها حلم الانبياء كما عبر عنها الشهيد السيد محمد باقر الصدر. و الرصاصة التي انطلقت من عصر الرسالة حسب تعبير الراحل محمد حسين هيكل... هي بعبارة واحدة ثورة الخميني(رض) الرجل الذي هز العالم و مرّغ انف اميركا في وحل الهزيمة و جعل عميلها في ايران يهرب دمع العينين!!